مجلة الدراسات اللغوية والأدبية
SUST Journal of Linguistic and Literay Studies
Available at:
http://scientific-journal.sustech.edu/

البنية الزمنية دراسة سيميائية تطبيقاً على حكايات طبيب لنجيب الكيلاني

سحر السر الخير الخليفة[1] – أ.د./ عبد الحليم محمد حامد2 – أستاذ اللسانيات بجامعة أمدرمان الإسلامية[2] ت/ 0912166535

المستخلص

هدفت هذه الدراسة إلى بيان مفهوم الزمن ومصطلح السيميائية ثم دراسة المفارقات الزمنية والتي تتمثل في بنيتي الاستباق والاسترجاع، ودراستهما بشيء من التفصيل، وقد اتبعتُ في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي والتطبيقي؛ وذلك من خلال وصف قضية الزمن والاستباق والاسترجاع ثم تطبيقها على القصة، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، أن قضية الزمن ظهرت واضحة في المجموعة القصصية، وأفادت القارئ في إظهار جوانب مخفية عن الشخصيات، وكان لها أثر كبير في التحليل، وفهم النصوص.

الكلمات المفتاحية: العلامة – السرد – الاستباق – الاسترجاع

Abstract

This study aimed to clarify the concept of time and the term semiotics, and then study the paradoxes of time, which are represented in the two structures of anticipation and retrieval and study them in some detail. In this study, I followed the inductive and practical approach through describing the issue of time, anticipation and retrieval, and then applying it to the story. Among the most important findings of the study The issue of time appeared clearly in the collection of stories and benefited the reader in revealing hidden aspects of the characters and had a great impact on the analysis and understanding of the texts.

Key word: Mark – Narration – Anticipation – Retrieval

المقدمة:

الحمد لله الذي هدانا بالقرآن وجعله سراجاً يضيء حياتنا الصلاة والسلام على النبي المبعوث رحمة للعباد وبعد: عرفت السيميائية عند القدماء باسم العلامة، وهي كل إشارة في النص يفهم من خلالها السامع معانٍ محددة، سواءً الشخصيات أو الزمن أو المكان وصارت آلية جديدة من آليات التحليل اللغوي، فهي بذلك قضية تستحق الوقفة وستتناول الدراسة جانب الزمن بشيء من التفصيل والتحليل.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في قلة المراجع والمصادر المترجمة؛ لأن معظم المراجع التي تحدثت عن السيميائية كانت أجنبية غير مترجمة إلى اللغة العربية؛ وحتى بعض الكتب العربية التي تناولت القضية تناولتها من الناحية النظرية فقط، دون الاهتمام بجانب التطبيق.

أهمية الدراسة:

يقوم الباحث بتتبع معنى السيميائية ومن ثم مفهوم الزمن من منظور هذه النظرية وتطبيقه على حكايات طبيب، فيقوم الباحث بإلقاء الضوء على جوانب يراها تحتاج إلى مزيد من الإضاءة مثل تعريف الزمن ونظرت السيميائية له، وتعريف الاستباق والاسترجاع ومن ثم التطبيق على حكايات طبيب.

أهداف الدراسة:

التعريف بالسيميائية والزمن ومن ثم التعريف بالمفارقات الزمنية والتي تتمثل في بنيتي الاستباق والاسترجاع.

تدعيم الجانب النظري بالجانب التطبيقي.

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث فيما أطلع عليه في مكتبات الجامعات على دراسة تناولت موضوع المكان تحت هذا العنوان وبتلك الكيفية؛ لكن هناك رسالة منشورة على الشبكة الدولية بعنوان الزمن في الرواية الجزائرية دراسة بنيوية، للباحث رشيد سلطاني، وقد أشرف عليها الدكتور: رشيد رايس، واختلاف تلك الرسالة عن رسالتي في أنها كانت موسعة جداً؛ حيث تناولت الزمن من كافة نواحيه، ودراستي تناولت بنيتي الاسترجاع والاستباق فقط، وهذه الدراسة تناولت الزمن من جهة بنيوية، ودراستي من وجهة نظر سيميائية، فالسيميائية امتداد للبنيوية، واختلفت أيضاً في طريقة تناول الموضوع وميدان التطبيق.

الدلالة اللغوية لكلمة (سيمياء):

لكلمة سيمياء ما يعادلها في اللغة العربية ومنه ما ورد في أساس البلاغة " سوم فرسه أعلمه بسومة وهي العلامة" **(الزمخشري، 1998م، ص321)** وقال ابن منظور: " مسومة بعلامة يعلم بها أنها ليست من حجارة" **(ابن منظور،1968م، 176)** فا لسيمياء والسيماء والسومة والسيمة مشتقة من أصل واحد هو (سوم) مفرد سُومة بضم السين وسِيمة بكسرها علامة يعرف بها الخير والشر وجمعها (سيم)، والأصل في السيم وسم سيم؛ حيث إن أصل الواو فاء ثم أبدلت ولما كانت ساكنة وما قبلها مكسور قلبت ياء فأصبحت سيم، **(الزبيدي، 1984م، ص230)**.

ويسوم الرجل إذا جعل عليه سمة أو وضع على نفسه علامة تميزه عن سواه، والقلب الحاصل في حروف الكلمة للتخفيف، وقلب عين الكلمة وارد في اللغة العربية وإن لم يكن هو الأكثر شيوعاً. فالأصل في قام قوم وفي ساد سود ولا نجد فعلاً مجرداً من سوم إلا ما جاء مضعفاً كما في قولهم: زيدٌ سَوَّم فرسه أي جعل عليه السِّمة أو السيمة وقيل الخيل المسوّمة هي التي عليها علامة وجمع الكلمة سيم وهي العلامات التي تُجعل على أصواف الغنم" **(ابن منظور، 1968م، مادة س و م)**.

بناءً على ما جاء في المعاجم العربية عن مدلول كلمة سيمياء؛ فإن اللفظ ليس دخيلاً على اللغة العربية كما أن معناه يتفق مع ما تشير إليه المعاجم؛ فكلها تشير إلى العلامة ويُدعم هذا ورود لفظ السيمياء في القرآن الكريم في مواضع كثيرة بمعنى العلامة سواء أكانت متصلة بملامح الوجه أو الهيئة أو الأفعال والأخلاق، وعلى اعتبار أن القرآن هو الموجه والباعث لتلقي الحقائق والعلوم في المرحلة الأولى، فقد أرشد في مواضع عِدة إلى تدبُر هذه العلامة بهدف اكتشاف بنيتها الدلالية ومختلف أنساقها وضمن هذا التوجه "كان التعامل مع العلامة من حيث إنها تدل على حقيقة حسية حاضرة تحيل إلى علامة دالة على حقيقة مجردة غائبة، والنظر في هذه الآيات وتأملها وتدبيرها جعل العرب يهتمون بالظاهرة اللسانية كُلاً واحداً، دون تمييز علم عن آخر وكان الدارس فيهم لغوياً ونحوياً وعالم أصول ومتكلماً، وما إلى ذلك من الاهتمامات المختلفة **(قدور، 2005م، ص54)**.

الدلالة الاصطلاحية لكلمة (سيمياء):

إن المعنى الاصطلاحي للسيميائية لا يبعد عن المعنى اللغوي، فهو ينطلق منه لأنهما يصبان في القالب نفسه، فإن كانت السيما تعني العلامة فإن السيميائية التي نشأت بإضافة اللاحقة إلى الاسم فصارت تدل على الإطار النظري الذي يصب في قالب علم العلامات وبذلك فالسيميائية بصورة عامة هي العلم الذي يهتم بدراسة العلامات والإشارات.

إن السيميائية هي ذلك العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات، سواء أكانت لغوية أم أيقونية أم حركية **(جميل حمداوي، 2015م، ص8)**. إن السيميائية تضم أيضاً اللغات الإشارية بما فيها لغة الصم والبكم لأنها إشارات يفهم منها معانٍ محددة.

"إن الإشارات والعلامات موجودة بكثرة حول الإنسان خاصة فيما يصدر عنه من أقوال وأفعال، فالسيميائية هي أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني بدءاً من الانفعالات البسيطة ومروراً بالطقوس الا جتماعية وانتهاءً بالأنساق الأيدلوجية الكبرى" **(سعيد بنكراد، 2005م، ص25)**

وفي ذات السياق تعرف بأنها:(علم يدرس أنساق العلامات لغات، أنماط، علامات المرور إلى آخره وهذا التعريف يحيل اللغة جزءاً من السيميائيات وهناك اتفاق عام لإعطاء اللغة مكانة مرموقة، فاللغة نسق من العلامات المعبرة عن أفكار؛ فحروف الصم والبكم والطقوس الرمزية والعلامات العسكرية ذات أهمية أكبر من كل هذه الأنساق، فهي علم يدرس حياة العلامة داخل الحياة الاجتماعية" **(بير جيرو2016م، ص23)**.

تعريف الزمن

لقد وجد الزمن اهتماماً كبيراً من قِبل العلماء والأدباء والفلاسفة؛ فالزمن يمثل عجلة الحياة التي لا تدور إلا به، وترتبط حياتنا ارتباطاً كلياً بالزمن ُمنذ الميلاد حتى الوفاة ،ومنذ الاستيقاظ وحتى الخلود للنوم؛ حيث يمثل الزمن تتابعاً دقيقاً وتوالياً مستمراً تبدأ من الثواني والدقائق والساعات والأيام وهكذا تنتقل خلالها الأحداث في حركة دائمة " من الماضي إلى الحاضر فالمستقبل وفي سيلانه حركة تحمل الصيرورة والتحول والتغيير" **(مها حسن القصراوي، 2004م، ص11)** وتعد الحياة فلك الزمن الذي يدور فيه ومحوره الثابت وكلاهما لا يمكن أن يستغني عن الآخر " فالحياة زمن والزمن حياة" **(مها حسن القصراوي، 2004م، ص12)**؛ فالزمن مصاحب للإنسان في كل الأحوال والأمكنة، وفي أي ظروف لا تستطيع النفس أن تنفصل عن الزمان **(غاستون باشلا، 2004م، ص 14)**.

"والنفس البشرية مجبرة على التعامل مع الزمن وإن رفضت فهي واقفة تحت غطائه غير أنها لا تستطيع أن تراه ولا أن تلمسه، ولا أن تسمع حركته ولا أن تشم رائحته، وإنما ترى أثر مروره وتنقله وفعله في الإنسان"**(عبد الملك مرتاض، 1998م، ص201)**.

الزمن في المعاجم اللغوية

ورد في لسان العرب أن " مصطلح الزمان والأزمنة : يقصد به المدة والدهر، ثم الزمنة : البرهة من الزمن"**(ابن منظور، 1968م، مادة ز م ن)**. وقال في موضع آخر:" الزمان زمان الرطب والفاكهة وزمان الحر والبرد قال والدهر لا ينقطع، ويكون الزمن شهرين إلى ستة أشهر، والزمن يقع على فصلين من فصول السنة وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبه ذلك وأزمن الشيء طال عليه الزمان وأزمن بالمكان أقام به زماناً"**(ابن منظور، 1968م، مادة ز م ن)**..

وقد اتفق الرازي والجوهري على تعريف واحد هو" الزمن والزمان: اسم لقليل الوقت وكثيره، ويجمع على أزمان وأزمنة وأزمن، ولقيته ذات الزُمَيْن تريد بذلك تراخي الوقت كما يقال: لقيته ذات العُوَيْم أي بين الأعوام، والمزامنة من الزمن كما يقال مشاهرة

من الشهر، والزَمانَةُ آفة في الحيوانات ورجلٌ زَمِنٌ أي مبتلى بين الزمانة وزمن من باب سلم" **(أبو نصر إسماعيل،1987م، ص213)** وهنا تحديد واضح ودقيق لمفهوم الزمن فهو اسم دال على فترة زمنية محددة تتراوح بين الطول والقصر.

من العرض السابق لمفهوم كلمة زمن كما ورد في أمهات الكتب نستخلص مايلي:

* الزمن فترة محددة تتراوح بين الطول والقصر.
* الزمن يسير إلى الأمام دائماً في سرعة هائلة تحمل في طياتها مجموعة من الأحداث تتسم بصفة الاستمرارية والتجدد.
* كل الصفات التي تتعلق بالزمن تحمل بين طياتها مدة معلومة، فالفاكهة موسم محدد وللربيع زمن وللخريف زمن وهكذا.
* يمثل الزمن البؤرة التي يعيش فيها الإنسان ويقضي حياته فيها فلميلاده زمن ولوفاته زمن فالزمن مرتبط بالحياة ارتباطاً كلياً معلوم الميعاد مجهول الأحداث.

الزمن في الاصطلاح:

انطلق معظم العلماء في تعريفهم للزمن من الدلالة اللغوية " إن مقولة الزمن متعددة المجالات، ويعطيها كل مجال دلالة خاصة ويتناولها بأدواته التي يصوغها في حقله الفكري" **(سعيد يقطين، 1997م، ص61)**.ورغم اختلاف هذه المجالات في نظرتهم للزمن إلا أنها تقترب كثيراً من الدلالة اللغوية والأدبية له، وفيما يلي عرض بسيط لقضية الزمن بين الفلسفة والفيزياء ومن ثم مقارنة هذه النظرة بالدلالة اللغوية.

يرى عبد الملك مرتاض أن " الزمن هو مظهر نفسي لا مادي ومجرد لا محسوس ويتجسد الوعي به من خلال ما يتسلط عليه، بتأثره الخفي غير الظاهر ومن خلال مظهره في حد ذاته، فهو وعي خفي لكنه متسلط ومجرد ولكنه يتمظهر في الأشياء المجسدة" **(عبد الملك مرتاض، 1998م، ص173)** بين مرتاض أن الزمن يرتبط في المقام الأول بالجانب النفسي وأنه خفي تظهر تجلياته فقط في الأحداث التي تظهر في واقعنا.

يعرف القديس أوغسطين الزمن من خلال مفهوم الأبدية والديمومة، ووجد نفسه ينساق في البحث عن الزمن إلى البحث في حاضر ثلاثي الأبعاد وهو مايسميه بحاضر الماضي وحاضر الحاضر وحاضر المستقبل **(بول ريكور، 2000م، ص6)** بمعني أن الزمن موجود أزلي يجب علينا معايشته، نفكر في حاضره ونستشرف مستقبله، ونستفيد من أحداث ماضيه فهذه الأحداث متوالية جارية فهو" ضرب من الخيط المتحرك الذي يجر الأحداث على مرأى ملاحظ يواجه الحاضر دائماً"**(عبد الملك مرتاض، 1998م، ص173)** فابسط مثال توالى أحداث الإنسان منذ ولادته مروراً بطفولته وحياته الدراسية ثم العملية، وهكذا فهي عبارة عن ترابط سلسلة من الأحداث تتطور بمرور الزمن، والزمن يتقدم ولا يتأخر فعقارب الزمن دائما تتجه إلى الأمام فهي "أشبه ما تكون بقطرات الماء فهي تتساقط بين أصابعنا دون أن نقوى على استبقائها أو امتلاكها أو القبض عليها بجميع أيدينا، فالزمان هو استحالة الإعادة وامتناع الرجعة" **(إبراهيم زكريا، 1967م، ص74)**؛ لكن يمكن أن يرجع الإنسان بخياله لفترة محددة " هارباً من واقعه أو أن يستشرف المستقبل وبذلك ينتقل الإنسان على المستوى النفسي ويكسر خطية الزمن، فيعتنق المستقبل بأحلامه وتطلعاته وهو بذلك أصبح يمتلك إمكانية العيش في عوالم مختلفة متجاوزاً بذلك لحظة الحاضر التي تحاصره" **(مها حسن القصراوي، 2004م، ص27)**

وقد تناول النقاد مسألة الزمن وخاصة في فن القصة والرواية، والتي تعد أكثر الفنون الأدبية التصاقاً بالزمن بخلاف الزمن الطبيعي الذي لا يستطيع أن يسيطر عليه أحد، فإن زمن الرواية يخضع لسيطرة الراوي الذي يأخذ على عاتقه عملية ترتيب وتتابع الزمن في الرواية" **(أحمد حمد النعيمي، 1998م، ص201)** فالراوي هو الذي يسبك الزمن والأحداث داخل الرواية

الزمن هو "الفترة أو الفترات التي تقع فيها المواقع والأحداث المقدمة يمثل زمن القصة، والفترة أو الفترات التي يستغرقها عرض هذه المواقف والأحداث يمثل زمن الخطاب وزمن السرد" **(جيرالد برنس، 2000م، ص201)**

ويعد الزمن من أهم العناصر الأساسية في بناء أي نص أدبي، فلا يمكن لنا أن نتصور حدثاً أدبياً خارج الزمن لأنه : " يؤثر في العناصر الأخرى وينعكس عليها الزمن حقيقة مجرد سائلة لا تظهر إلا من خلال مفعولها على العناصر الأخرى "**(سيزا قاسم،1984م ، ص27)** .

فالشخصيات والأحداث تتحرك وتتشكل في فضاء زمني، فلا يتم السرد إلا بوجود الزمن، ففي لحظة ما يسترجع السارد الماضي أو يستشرف المستقبل؛ لأن الرواية ليست بنية ثابتة الكيان، والتشكيل، ويمكن التقاطها بوضوح بل هي : " صيرورة متحولة، وهدفها غير معروف مسبقاً، فإن الزمن في مختلف تجلياته متجدد ومتحول، فإن الرواية التي هي خطاب الزمان بامتياز، بنية تتلفظ التحولات وهي نفسها بنية تحول " **(محمد برادة ، (د:ت) ، ص 61)**.

وتتبع أهمية دراسة الزمن في السرد من كون هذا النوع من البحث، يفيد في التعرف على القرائن التي تدلنا على كيفية اشتغال الزمن في العمل الأدبي؛ وذلك لأن النص يتشكل في جوهره، فالزمن السردي يخبرنا عن آليات اشتغاله، والوظائف التي ينهض بها في عموم البناء الروائي .

المفارقات الزمنية في السرد وعلاقتها بأحداث حكايات طبيب

تعني دراسة الترتيب الزمني لحكاية ما وفق نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمانية في الخطاب السردي بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها **(جيرار جنيت، 1997م، ص47)**. وعندما لا يتطابق نظام السرد مع نظام القصة تحدث هذه المفارقات.

" إن مفارقة ما يمكنها أن تعود إلى الماضي أو إلى المستقبل تكون قريبة أو بعيدة عن لحظة الحاضر أي عن لحظة القصة التي يتوقف فيها السرد من أجل أن يفسح المجال لتلك المفارقة، إننا نسمي مدى المفارقة هذه المفارقة الزمنية ويمكن أن تغطي هي نفسها مدة معينة من القصة تطول أو تقصر وهذه المدة نسميها اتساع المفارقة" **(محمد بوعزة، 2010م، ص88.)**.

إن التداخل الزمني الذي ينتج عن تكسير خطية السرد، يلغي التسلسل والترتيب لأحداث الحكاية، ويعرضها بطريقة تختلف عن طريقة عرضها في الحكاية، وتتم من خلال حركتين أساسيتين ، تتجه الحركة الأولى من الزمن الحاضر " حاضر الرواية " إلى الوراء حيث ماضي الأحداث، وهذه العودة إلى الماضي تظهر من خلال تقنية الاستذكار ويسمي ب " الاسترجاع " أما الحركة الثانية فتتجه من حاضر الرواية أيضا؛ ولكن اتجاهها يكون إلى المستقبل عن طريق تقنية "الاستباق " فتكون " إزاء مفارقة زمنية، توقف استرسال الحكي المتنامي، وتفسح المجال أمام نوع من الذهاب والإياب على محور السرد انطلاقا من النقطة التي وصلتها القصة " **(ادونيس، 1979م ص 113- 115)**.

إن ترتيب الوقائع في الحكاية يختلف أحيانا عن ترتيبها الزمني في الخطاب ، لهذا تتوالد المفارقات الزمنية .

أولاً: بنية الاستباق أو السرد الاستشرافي

" هو مفارقة زمنية سردية، تتجه إلى الأمام، وهو تصوير مستقبلي لحدث سردي، سيأتي منفصلا فيما بعد، إذ يقوم الراوي باستباق الحدث الرئيس في السرد بأحداث أولية تمهد للآتي وتلهم القارئ بالتنبؤ بما يمكن حدوثه، أو يشير الراوي بإشارة زمنية أولية تعلن صراحة عن حدث ما سوف يقع في السرد " **(مها حسن القصراوي، 2004م، ص211)** فالقفز من الزمن

الحاضر ومحاولة الولوج إلى المستقبل يجعل القارئ أمام مفارقة سردية، فيكون إزاء تقنية لها تأثير كبير على حركية السرد وتتابع الأحداث، والكشف عن خفايا الشخصيات.

وهو أيضاً " كل مقطع حكائي يروي أحداثاً سابقة عن أوانها أو يمكن توقع حدوثها ويقضي هذا النمط من السرد بقلب نظام الأحداث في الرواية عن طريق تقديم متواليات حكائية محل أخرى سابقة الحدوث"(**سمير المرزوقي وجميل شاكر، 1990م، ص80)**. وعرف أيضاً بأنه" عملية سردية تتمثل في إيرادات أو إشارة سابقة لحدث قبل حدوثه، وفي هذا الأسلوب يتابع السارد تسلسل الأحداث، ومن ثم يتوقف ليقدم نظرة مستقبلية ترد فيها أحداث لم يبلغها السرد بعد" **(نور الدين، 1997م، ص 167)** فتبقى حالة من التوقع والانتظار، يعايشها القارئ أثناء قراءة النص لما يتوفر له من أحداث وإشارات أولية للتالي، لتقبل ماسيجري من تغيرات وأحداث مفاجئة .

ويعد الاستشراف الزمني عصب السرد الاستشرافي، ووسيلة إلى تأدية وظيفة في النسق الزمني للرواية ككل، أما عن المستوى الوظيفي تعمل هذه الاستشرافات بمثابة تمهيد أو تؤطئة لأحداث لاحقة تسرد من طرف الراوي، فتكون غايتها حمل القارئ على توقع حدث ما أو التكهن بمستقبل إحدى الشخصيات، كما أنها قد تأتي على شكل إعلان عما ستؤول إليه مصائر الشخصيات مثل الإشارة إلى احتمال زواج أو مرض أو موت بعض الشخوص. ويسمى جنيت هذا النوع بالاستشرافات الخارجية مميزاً لها عن الاستشرافات التكميلية التي تأتي لتملأ ثغرة حكائية سوف تحدث في وقت لاحق من جراء أشكال الحذف المختلفة التي تتعاقب على السرد **(محمد عزام، 2005م، ص108)**.

ينقسم الاستباق إلى قسمين وهما:

أ- **الاستباق التمهيدي:**

إن الاستباقات التمهيدية تتطلع إلى الأمام، وتستكشف المجهول، إذ تقوم الشخصية الروائية بتخمينات لما يدور حولها من أشياء مجهولة، تكون على شكل استفسارات، والاستباق هنا ماهو إلا تمهيد وتوطئة **(حسن بحراوي، 1990م، ص137)** ويتنبأ المستبق ويتطلع إلى مايتوقع حدوثه فهو " مجرد استباق زمني الغرض منه التطلع إلى ماهو متوقع أو محتمل الحدوث في العام المحكي وهذه الوظيفة الأصلية والأساسية للاستشرافات بأنواعها المختلفة، وقد تتخذ هذه الاستباقات صيغة تطلعات مجردة تقوم بها الشخصية لمستقبلها الخاص" **(محمد عزام،2003م، ص200)**.

ب- **الاستباق الإعلاني:**

وهو الذي يعلن عن سلسلة الأحداث التي سيشهدها السرد في وقت لاحق، فيعد الإعلان كإشارة واضحة وصريحة عما سيقدمه السرد لاحقاً ، وهذا النوع من الاستباقات تضع القارئ وجهاً لوجه مع الحدث النهائي **(حسن بحراوي، 1990م، ص137.)** وهو استباق حقيقي أي أنه يتحقق حتماً في قادم سير الرواية، وقد تكون الإعلانات ذات مدى قصير وقد تكون على خلاف ذلك والغالب أن تكون ذات مدى طويل والتي تكمن وظيفتها في كونها تخفف من حدة ماسيكون **(نضال الشمالي، 2001م، ص 161)**. وهذا النوع من الاستباقات يضطلع بمهمة اختيارية حاسمة تطرح بشكل مباشر حدثاً سيجري تفصيله في بقية القصة غير قابل للنقص أو امتناع الحدوث **(أم السعدون، 2015م، ص64.)**

ثانياً : بنية الاسترجاعات أو السرد الاستذكاري

يعد الاسترجاع من أهم التقنيات الزمنية حضوراً في الخطاب الروائي، فالسارد يوقف عملية السرد الذي يسير في خطٍ متوازٍ إلى الأمام، ليعود إلى الوراء في حركة ارتدادية لسير الأحداث، لاستذكار ماضٍ بعيد أو قريب إذ يرى حسن بحراوي: "أن كل عودة للماضي تشكل بالنسبة للسرد استذكاراً لماضيه الخاص، ويحيلنا من خلاله إلى أحداث سابقة عن

النقطة التي وصلتها القصة " **(حسن بحراوي، 1990م، ص121)** وقد عرفه حميد لحميداني بأنه :" مفارقة زمنية باتجاه الماضي انطلاقاً من لحظة الحاضر، واستدعاء حدث أو أكثر وقع قبل لحظة الحاضر أو اللحظة التي تنقطع عندها سلسلة الأحداث المتشابهة زمنياً" **(حميد لحمداني، 2008م، ص74)**.

فالعودة إلى الماضي تتم مع الاستمرارية في الحاضر، وهذا بكسر الزمن الطبيعي للأحداث، وخلق زمن خاص بالرواية ، وهو كثير في النص الروائي الواقعي عامة ، ويتمثل بأن يترك " الراوي مستوى القصة الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية ، ويرويها في لحظة لاحقة لحدوثها **(سيزا قاسم،1984م ، ص40)**.

إن كل عودة للماضي تشكل استذكاراً يقوم به لماضيه الخاص ويحيلها من خلاله على أحداث سابقة عن النقطة التي وصلتها القصة **(جيرالد برنس، 2003م، ص16)**. ويرتبط سرد الأحداث في الرواية من حيث درجة سرعتها أو بطئها **(محمد عزام، 2003م، ص107)** وقد يرجع الراوي إلى أحداث قبل أيام أو ساعات وقد تمتد إلى شهور وسنوات .

أنواع الاسترجاع :

أ/ الاسترجاع الخارجي:

يعود إلى ماقبل الرواية، ويقصد به العودة إلى معلومات وردت في زمن مقابل لبداية الرواية ولا يخشي أن يتداخل هذا النوع مع القصة " إن الاسترجاعات الخارجية ولمجرد كونها خارجية لا تخشى منها في أي لحظة أن تتداخل مع الحكاية الأصلية إذ إن وظيفتها هي تكملة الحكاية بتنوير القارئ عن هذه الحادثة القائمة أو تلك" **(سيزا قاسم،1984م، ص60)**.

ويتكرر هذا النمط في الروايات التي تعالج فترة زمنية محدودة فيأتي الحديث عرضاً بذكر شخصيات يكون لها الفضل في عقد التواصل بين ما هو سابق وما هو آتٍ.

ب/ الاسترجاع الداخلي :

يعود إلى ماضٍ لاحق لبداية الرواية ، قد تأخر تقديمه في النص .

"وهو العودة إلى ماض لاحق لبداية الرواية، وقد تأخر تقديمه في النص، إذ يستخدم لربط حادثة معينة بسلسلة من الحوادث السابقة المماثلة لها، ولم تذكر في النص الروائي من باب الاختصار"**(محمد عزام، 2003م، ص 107)** وفائدة هذا النوع من الاسترجاع " أن الكاتب يعالج به الأحداث المتزامنة؛ حيث يلزم تتابع النص أن يترك الشخصية الأولى ويعود إلى الوراء ليصاحب الشخصية الثانية" **(بان البنا،2014م، ص53)**.

وقد قسم أحمد النعيمي الاسترجاع بصورة مغايرة عن الذين سبقوه؛ فقد أعتمد في تقسيمه مراعاة شعور المتلقي، فقد اهتم بالجانب النفسي في المقام الأول وبذلك قسمه إلى:

أ/ الاسترجاع المؤلم:

وهو الذي يعيد الراوي من خلاله ما هو مؤلم في حياة شخصياته.

ب/ الاسترجاع السار:

وفيه تتذكر الشخصية أو الراوي ما هو سار في حياة شخصياته.

ج/ الاسترجاع المحايد:

وهو استرجاع لا نستطيع الحكم على طبيعة تأثيره، فهو لا يؤثر على المتلقي لا بالسرور ولا بالحزن **(أحمد حمد النعيمي،2004م، ص35.)**

نبذة عن حكايات طبيب:

مجموعة قصصية مؤلفها نجيب الكيلاني، اشتملت على مجموعة من القصص القصيرة كل قصة قائمة بذاتها تحكي عن حبكة محددة، تحدثت هذه المجموعة عن الأطباء ومتاعبهم ومشاعرهم، وقد كُتبت في إطار فني قصصي .

تطبيق المفارقات الزمنية على حكايات طبيب

من خلال الدراسة النظرية السابقة للمفارقات الزمنية ودلالة الزمن سننتقل في هذه الجزئية لتطبيقها بشيء من التفصيل على حكايات طبيب؛ فقد لعب الزمن دوراً واضحاً في بناء المجموعة القصصية وقد ظهر من خلالها الزمن بمختلف أنواعه، واتت الاسترجاعات والاستباقات لكسر خطية الزمن المتوالية، وقد ظهرت واضحة في إضاءة الجوانب الخفية من الشخصيات الروائية عبر العودة إلى ماضي الشخصية وإضاءة جوانبها الغامضة والخفية، عن لحظة السرد الحالية فالرجوع إلى الماضي أمر حتمي وطبيعي في الرواية.

بنية الاسترجاعات:

احتوت المجموعة القصصية على عدد من الاسترجاعات، وقد وضحت وبينت للقارئ خبايا الشخصيات وما يدور في داخلها، ووضحت أيضاً أحداث سابقة عن حياة الشخصيات قبل موعد الحكاية، فبالتالي أفادت القارئ بمعلومات جديدة.

المقطع السردي	الصفحة	الدلالة السيميائية للاسترجاع	نوعه
"منذ سنوات بعيدة ....كنت أعمل طبيباً في إحدى القرى النائية".	ص18	يعد من الاسترجاعات الداخلية ذات المدى البعيد إذ عاد القاص إلى زمن بعيد، دون تحديد تاريخ محدد؛ ليعطي القارئ فرصة لإعمال فكره عن طريق القرائن.	استرجاع داخلي محايد
" وكان ليل الصيف الهادئ تقطع سكونه طلقات الرصاص.... كنت أجلس في الوحدة الصحية التي أعمل بها".	ص19	أشارة كلمة " ليل " إلى زمن موضوعي فعلي، وتحدد لنا مع اقترانها بالفعل " كنت " نقطة رجوع إلى الماضي ويشير إليها بصراحة ووصف دقيق، اعتماداً على توثيق الأحداث، ليضفي على هذه الأحداث نوعاً من الواقعية.	استرجاع داخلي مؤلم
لم أكن أدري ماذا أفعل ... إنهم من سكان القرية المصابة، فكرت بسرعة لقد قدموا للأخذ بالثأر.	ص20	امتزج الاسترجاع هنا باستباق لأنه دون أن يتحدث مع أهل القرية فهم أنهم جاءوا للثأر في حين أنهم جاءوا لغرض مخالف.	استرجاع داخلي مؤلم
إن امرأة وضعت جنينها منذ أربعة أيام وهي في حالة سوء يرثى لها ..إذا لم تنجدها فستموت.	ص21	طمأن هذا الاسترجاع الطبيب في المقام الأول ومن ثم طرح الغرض الذي جاء بهم إلى القرية الأخرى.	داخلي مؤلم
الطبيبة تعرف مثل هذه الأمور جيداً، إن السنوات العشر التي قضتها في المهنة قد جعلتها تسمع وترى.	ص22	قدمت الممرضة بهذا الاسترجاع فكرة للقارئ بأن يعلم أن هذه الطبيبة ذات خبرة في حل المشاكل وإنها ستخرج فاتن إلى بر الأمان.	داخلي محايد

المقطع السردي	الصفحة	الدلالة السيميائية للاسترجاع	نوعه
كنت كمن يكتشف جزيرة جديدة وكثيراً ما كنت أبقى في المسكن مع زوج أختي وحيدين لم أكن أتحفظ أو أتحرز.	ص11	بين للقارئ أنها جاءت إلى بيئة جديدة تختلف تماماً عن بيئتها الأصلية.	داخلي مؤلم
ووجدته يصب كاسين، ثم يعطيني أحداهما ويصر عليَّ أن أشرب، رفضت بشدة لكن إصراره وتشبثه بي ونظراته الجسورة كانت أقوى مني.	ص12	بين الاسترجاع أنها لم تتصرف للرذيلة بمحض أرادتها وإنما دفعها ماهر وإنها لم تكن في وعيها رغم أنها رفضت في البداية.	داخلي مؤلم
اشتريت لها ساعة ذهبية ..... باعتها وأعطت ثمنها لمعروف أهديتها فستاناً ثميناً ولما سألت صويحباتها عمن أهداها ذلك الفستان قالت معروف..	ص23	أن سالم دائما يقدم لمحبوبته الخير والهدايا الثمينة ورغماً عن ذلك تميل تجاه صديقه معروف.	داخلي مؤلم
إنها هي التي كانت تهذي وتهتف باسمك اسمك أنت يا مصطفي... يا أعز أصدقائي... وهي تحت تأثير المخدر... وكانت تخاطبك بأحلى الكلمات.	ص49	أثبات خيانة زوجته وصديقه لأن الطبيبة قالت له إن الحديث تحت تأثير البنج يخرج من العقل الباطن للإنسان فيهذي بما في داخله.	داخلي مؤلم
كان قلبي يجتاحه لون من ألوان الخوف الغامض الذي لا أعرف له مصدراً.	ص51	أثبات أحساس الخوف وعدم الشعور بالراحة.	داخلي محايد
وذهبنا إلى الشاطئ ... كانت الساعة حوالي الثامنة صباحاً وبيت الفتاة قريب من الشاطئ ووجدتهم دون إذن مسبق قد نقلوا الفتاة إلى المنزل	ص53	تنوير القارئ إلى أن أهل القتيلة كان لهم يد في قتلها.. وحاولوا نقل الجثمان من موقع الحادثة إلى منزلهم.	داخلي محايد

المقطع السردي	الصفحة	الدلالة السيميائية للاسترجاع	نوعه
وخرجت من منزلهم وكأني ولدت من جديد .. كنت أمضى في طريقي متعثرا لا أكاد أميز شيئاً اختلطت المرئيات أمام عيني.	ص57	وصف الطبيب حالته بعد نجاته من الموت، وصورة القتيلة التي لا تفارق عينيه.	داخلي سار
لست أول طبيب آتي إليه، ذهبت إلى خمسة أطباء قبلك وسافرت إلى طبيب خارج البلاد معروف بتمكنه وخبرته في العلل النفسية...	ص86	تود المريضة أن تبين للقارئ أنه رغم علتها النفسية لكنها واعية ومدركة جداً ما يحدث حولها.	داخلي مؤلم

كانت حياتي كلها عملاً في عمل ولأول مرة أقرر السفر إلى الخارج وسنكون معاً يا رشيدة	ص144	إحساس رشيدة بالاهتمام ومشاعر الحب الصادقة وهي بصحبة ولدها .	خارجي سار
كنت طوال الطريق أرتجف من الخوف وعشرات التصورات ترهق خيالي .	ص129	أن المرأة الفاجرة لم تكن أمها وإنما زوجة أبوها.	داخلي مؤلم
وذات مساء دخل علينا عبد الرحمن في غرفتنا	ص184	بيان حقيقة فريد لزملائه	داخلي محايد
كنت أعلم أن حافظ لديه سبعة من الأولاد وأن دخله من إصلاح الساعات لا يكفيه.	ص184	بيان الحالة المادية لحافظ ليربط القارئ بينها وبين ماسيحدث في باقي القصة.	داخلي محايد
كان عبد الجواد في الثامنة عشرة من عمره ... وهو يعيش في حي من أحياء المدينة الشعبية..	ص66	إيقاف السرد وتقديم شخصية عبد الجواد.	داخلي
كان عباس يدرك أن صديقه انفعالي وعاطفي بطبعه وانه سريع التأثير بكل مايقال له.	ص68	تقديم صفات عباس ومحاولة إبطاء السرد.	داخلي
مرت الأيام بالنسبة لعبد الجواد كحلم رهيب... الصراخ الشرطة.....	ص70	ذكر حال عبد الجواد.	داخلي مؤلم

المقطع السردي	الصفحة	الدلالة السيميائية للاسترجاع	نوعه
وكان معنا في تلك الفترة طالب اسمه فريد.. كان فارع الطول ... وكان يمضي في طريقنا شامخ الأنف.	ص158	تقديم شخصية فريد.	خارجي
كان مصطفى في حال يرثى لها، ومع ذلك فقد كان يفكر كيف كانت الإحصاءات العالمية تؤكد أن نسبة الرجال أعلى من نسبة النساء.	ص190	ذكر حال مصطفى وغضبه عندما أنجبت له زوجته البنت السابعة	داخلي مؤلم
لقد انتصرت على أعدائي طوال حياتي، اليوم يثيرون أعصابي ويتسببون في إمراضي، إنها جريمة قتل.	ص112	رغم انتصاره عليهم وهزيمتهم، إلا أنهم سببوا له مرض الضغط.	داخلي سار_ مؤلم
إن الحادثة التي أرويها لكم وقعت في إمارة رأس الخيمة.	ص155	ذكر مكان الحدث	داخلي محايد

بنية الاستباقات:

اشتملت المجموعة القصصية على عدد من الاستباقات، كان الهدف منها بيان جوانب مخفية عن الشخصيات، ووضحت ماتفكر فيه هذه الشخصيات وما يدور بعقلها.

المقطع السردي	الصفحة	نوع الاستباق	القراءة السيميائية
إن مستقبلي معروف ..مجرد مدرسة وعلى أن أنتظر في طابور طويل بعد تخرجي حتى يأتي دوري في القوى العاملة.	ص11	تمهيدي	تنبأت فاتن بمستقبلها رغم أنه لم يأتِ وتوقف تنبؤها على مجال دراستها الحالية.
أختي لا يمكن أن أعترف لها بما جرى.. أبى سيقتلني لو عرف الحقيقة...	ص12	تمهيدي	تنبأت فاتن بأن أباها سيقتلها لأنها جلبت العار، وفي ذاك الوقت كانت أي فتاة تحمل سفاحاً تقتل.
وقالت لها الداية: أنا واثقة أنك سوف تلدين في الموعد المحدد.. وسيأتي الولد على يدى لأنال مكافأتي الذهبية.	ص39	تمهيدي	تكهنت الداية بأن المرأة ستنجب ولداً؛ لأن إنجاب الولد في ذاك الوقت كانت له مكانة كبيرة.
خاف أن تموت هناء.. لقد رأيت أحلاماً مزعجة ليلة أمس.. أكاد لا أصدق أنها ستخرج سليمة من غرفة العمليات.	ص45	تمهيدي	استبق زوج هناء الأحداث ظن أن زوجته سوف تموت لكن حدث خلاف ذلك.
الآن سوف تذيع السيدة هناء بعض أسرارها إن مرحلة الإفاقة من التخدير فيها مرحلة معينة يتحدث فيها المريض عن الأشياء المكبوتة في عقله الباطن.	ص46	تمهيدي	تحقق كلام الممرضة فقد أبدت هناء إعجابها بصديق زوجها أثناء هذيانها وقد تسبب ذلك في تطليقها.
وقرأت في عيونهم كل شيء إنهم لو وجدوا أن تقريري يخالف رغبتهم فسوف يقتلونني على الفور.	ص55	إعلاني	كانت نبرات ووجوه أهل القتيلة تتأجج شراً فإذا خالف الطبيب أوامرهم فسيقتل لا محالة.
كانت تعلم أنها سوف تمر بسلسلة من الامتحانات والمقابلات	ص73	تمهيدي	لأن أي شخص يقدم لوظيفة لا بد أن يدخل عدداً من المعاينات.
وسأطلقك لتتزوجي	ص138	تمهيدي	لأن زوجته كانت تحب رجلاً آخر وقد علم بالأمر واكتشفها.
عمل بسيط وسوف يدر عليك دخلاً يربو على عشرة جنيهات	ص165	إعلاني	كان بمثابة اقتراح لأن أي مشروع يجني أرباحاً.
علمت أن أحد السجناء في حالة خطيرة	ص178	تمهيدي	بعد سماع صوت الباب استبق مرض أحدهم.
ترى هل أصيب بغيبوبة بسبب زيادة السكر في الدم أو أصيب بغيبوبة بسبب استعمال جرعة أكبر من الدواء فسبب له انخفاضاً في السكر	ص186	إعلاني	عندما رأى المريض استبق أحد أمرين لا ثالث لهما، قبل أن يفحصه، فقد دلت عليهما علامات والطبيب كشخص متخصص يعرفها جيداً. فكانت بمثابة

			إعلان مسبق.
فليستمر .. وليمنح زوجته فرصة خاصة لعلها تنجب الولد المرتقب.	ص189	تمهيدي	لأن زوجته كانت تنجب بنات دائماً
خيل لي أنها على استعداد للتضحية بنصف عمرها من أجل الخلاص من هذا الداء.	ص218	تمهيدي	يمكن أن تقدم أي شي طلباً للشفاء.
وقلت للممرض أن بعض حالات الربو لا تشفى إطلاقاً	ص223	تمهيدي	تكهن بعدم شفاؤه من المرض لأن هناك علامات دلت على عدم الشفاء.
وغمغمت الطبيبة قائلة: نعم إنها قدرة الله.. لم أكن أتصور أن تشرق عليك شمس الغد	ص168	تمهيدي	ظنت أن المريضة ستموت لكنها شفيت تماماً.

يرى الباحث أن اختيار الاستباقات كان موفقاً جداً ؛ حيث مهد للقارئ ووضح له أشياء كان يجهل العلم بها، فأعطاها إليه في صورة نقاط بارزة ليسير معه فيخط أفقي متجاوباً مع أحداث الرواية التي سوف تأتي لاحقاً .

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي أعانني على إكمال هذه المداخلة اللغوية، وقد تناولت في هذه المداخلة قضية المفارقات الزمنية وقد توصلتُ من خلال الحديث عن هذا الموضوع إلى عدد من النتائج والتوصيات.

النتائج:

– استخدم مفهوم الزمن منذ قديم الزمان؛ ولكن أضافت إليه الدراسات الحديثة شيء التفصيل والتبويب والتقسيم.

– ظهرت المفارقات الزمنية في علم اللغة، وانتقل منه إلى الميادين الإنسانية الأخرى فارتبط الاسترجاع والاستباق بعلم النفس والفلسفة وغيرها.

– جاء التوسع في دراسة الزمن نتيجة التطور والتفكير والإدراك، الذي حدث في العلوم اللغوية والطبيعية.

– قضية الزمن منهج فكري، وأداة للتحليل، وهي كذلك منهج للبحث في العلوم اللغوية.

– يسهم التطبيق في فهم النصوص وزمن الحكاية وأحداثها.

التوصيات:

– دراسة النظريات الحديثة، والتأصيل لها داخل كتب التراث العربي.

– دراسة المفارقات الزمنية بصورة أوسع وتطبيقها على الميادين الأدبية.

– دراسة النظريات الحديثة ومحاولة مقارنتها بالدراسات القديمة وربطها بها.

المراجع والمصادر:

1/ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ط1، دار الصادر، بيروت، 1968م.

2/ أبو نصر إسماعيل الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور، دار العلم، بيروت ،1987م.

3/ إبراهيم زكريا، مشكلة الإنسان، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1967م.

4/ أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، الكويت، عالم المعرفة، 1998م.

5/ أم السعدون بلعيد المزعوق، الزمان والمكان في رواية المجوس، رسالة ماجستير، جامعة الاسمرية للعلوم والدراسات العليا، قسم الآداب، 2015م.

6/ بان البنا، البناء السردي في الرواية الإسلامية المعاصرة، ط1، عالم الكتب عمان،2014م.

7/ بول ريكور، الوجود والزمان والسرد، ترجمة سعيد الغانمي، ط1، الدار البيضاء بيروت، ط1، 2000م

8/ بير جيرو، السيميائيات، ترجمة منذر عياش، ط1، دار بنوي ، سورية، 2016م.

10/ جميل حمداوي، الاتجاهات السيموطيقية،2015م.

11/ جار الله أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة ، تحقيق: باسل عيون السود، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت1998م.

12/ جيرار جنيت، خطاب الحكاية،ط2، ترجمة محمد معتصم، المجلس الأعلى للثقافة، 1997م.

13/ جيرالد برنس، قاموس السرديات، ترجمة السيد إمام، ط1،القاهرة، 2003م.

14/ حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،ط1، المركز الثقافي العربي،1990م.

15/ حميد حمداني، بنية النص السردي، ط1، المركز الثقافي العربي،1991م.

16/ محمد بن محمد الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ط2، الكويت، 2000م.

17/ زين الدين الرازي، مختار الصحاح تحقيق يوسف الشيخ، المكتبة العصرية، بيروت، ط5، 1999م.

18/ سايمون كلارك، التحليل البنيوي للاسطورة، مقال منشور بواسطة الانترنت، w.w.wejtemay. com<showthread ، بتاريخ 3-11-2011م

19/ سعيد بنكراد، السيميائية مفاهيمها وتطبيقاتها، ط2، دار الحور للنشر والتوزيع ، سوريا، 2005م.

20/ سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ط3،المركز الثقافي، الدار البيضاء، بيروت، 1997م.

21/ سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، دار المطبوعات الجامعية، الدار التونسية، 1990م.

22/ سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1984م.

23/ عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، 1998م.

24/ على أحمد سعيد ادونيس، الثبات والتحول، عودة بيروت،1979 م .

25/ غاستون باشلا، جدلية الزمن، ترجمة خليل أحمد خليل، ط3، بيروت، المؤسسة الجامعية، 2004م.

26/ قدور عبد الله، سيميائية الصورة، ط1، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران الجزائر، 2005م.

27/ محمد برادة ، أسئلة الرواية، الرابطة الدار البيضاء، المغرب، ط1، (د:ت) .

28/ محمد بوعزة، تحليل النص السردي، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010م.

29/ محمد سويرتى ، النقد البنيوي والنص الروائي ، أفريقيا الشرق ، ج2 ، الدار البيضاء ، 1991م .

30/ محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية، اتحاد الكتاب العرب، 2003م.

31/ مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004م.

32/ نضال الشمالي، الرواية والتاريخ بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية، عالم الكتب، الأردن،

33/ نور الدين السرد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط1، دار هومة، الجزائر، 1997م.